مظاهرُ الصِّدِّيقية في إنجازاتِ الخليفة أبي بكرٍ رضي الله عنه

بقلم
د/ حسين شرفه(*)

ملخص

يتناول هذا البحث جانبا من جوانب التميُّز في شخصية الخليفة أبي بكر رضي الله عنه ممثلا في الصِّدِيقية، وهي الصفة التي فاق بها الصحابة رضي الله عنهم، وحاز بها لقب الصِّدِيق في هذه الأمة، وستحاول هذه الدراسة إبراز حقيقة تلك المنقبة من خلال الإنجازات التي حققها في خلافته.

وإذا كانت خلافة الصِّدِيق رضي الله عنه لم تدم طويلا- إذ لم تزد عن سنتين وثلاثة أشهر- فإنها شهدت أربعة إنجازات كبيرة قلما تكررت في التاريخ، وليس لها من تفسير سوى ما حظي به الخليفة أبوبكر رضي الله عنه من مناقب وفضائل، خاصة صديقيته التي أهلته أن يقود المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ.

فما حقيقة الصِّدِيقية؟ وكيف تجلت مظاهرها في إنجازات الخليفة أبي بكر رضي الله عنه؟

ذلك ما تروم هذه الدراسة بيانه .. وبالله التوفيق والسداد.

الكلمات المفتاحية: أبوبكر الصديق- الخلافة- القيادة- التميّز.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه .. وبعد:

فإن تاريخ الأمة الإسلامية سِفْرٌ عظيم تمتلئ صفحاته بالأحداث الخالدة والمواقف الشاهدة، دُبِّجَت سطوره الأولى بأطهر سيرة لأعظم مخلوق هو رسول الله ﷺ، فكان - كما وصفه ربه - شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ثم سُطِّرتْ بعده سِيَرٌ أصدق وأطهر

(*) أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية العلوم الإسلامية ـ جامعة باتنة 1.
ch.hacen@hotmail.com

الرجال، وهم صحابته الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم، فكان قَرنُهم خير القرون، واختُصَّ منه زمن الخلفاء الراشدين المهديين؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عنهم أجمعين، فكانوا كالنجوم الزاهرة، وأنار فيهم نجم أكثر فكان كالكوكب الدُّري، ذاك هو صديق هذه الأمة رضي الله عنه وأرضاه.

فأبو بكر الصِّديق رضي الله عنه هو خير هذه الأمة وأعظم رجالها بعد نبيها ﷺ، هو أول الرجال إسلاما، وصاحب الهجرة، وثاني اثنين في الغار، وأول خليفة...ومناقبه لا تكاد تحصى، ولعل أفضل تلك المناقب كونه الصِّديق، لقَّبه بذلك رسول الله ﷺ .

وليس المقصود رصد مظاهر الصديقية في أخلاق أبي بكر رضي الله عنه وقد بلغ فيها المرتبة العالية، ولا في أقواله وقد كانت قبساً من مشكاة النبوة، ولا حتى في مجمل أعماله التي فاق فيها كل الصحابة، وإنما سنُخصص حيزا ضيقا جدا من حياته، لا يزيد عن سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، هي مدة توليه الخلافة، ولكنها بقدر ما كانت قصيرة زمانا، كانت مباركا أعمالا، فقد أنجز فيها الصِّديق أربعة أعمال كبيرة خلدها التاريخ.

فما تلك الأعمال، وما مظاهر الصديقية فيها ؟ ذلك ما تصبو هذه الدراسة الكشف عنه، معتمدة في ذلك على جملة من المصادر والمراجع، أساسها ما صح من نصوص السنة، ثم أقوال علماء الأمة، وما دونته كتب التاريخ الموثوقة، وبعض الدراسات ذات الصلة، متوخية الموضوعية والروح العلمية بعيدا عن التحريف والتزييف.

وقد جاءت هذه الدراسة في مبحثين، أولهما: في بيان حقيقة الصديقية وحظ أبي بكر رضي الله عنه منها، وتناولتها في مطلبين، أما المبحث الثاني: وهو لب الدراسة فتتبعت فيه مظاهر الصديقية في الإنجازات الأربعة في خلافة أبي بكر، وقد خصصت لكل إنجاز مطلباً، وأنهيت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي خلصت إليها.

هذا.. وما كان من توفيق، فمن الله وحده فله الحمد والمنَّة، وما كان من قصور، فهو مني، وحسبي أني بذلت الجهد واستفرغت الوسع.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأول

مفهوم الصِّديقية وحظ أبي بكر رضي الله عنه منها

للوقوف على حقيقة الصِّديقية كمنزلة ربانية حظي بها أبو بكر رضي الله عنه، يحسن بنا تحديد مفهومها، وذلك ببيان معناها اللغوي والاصطلاحي، ثم ذكر ما ثبت من النصوص الدالة على صديقية أبي بكر رضي الله عنه، وهو ما سأتناوله في هذا المبحث من خلال مطلبين.

المطلب الأول: معنى الصِّديقية لغة واصطلاحا

أولا: معنى الصديقية لغة

بالرجوع إلى المعاجم والقواميس اللغوية في مادة:" ص.د.ق" نجدها تذكر جملة من المعاني نوجزها فيما يأتي:[1]

صَدَقَ: الصاد والدال والقاف أصل يدل على قوة في القول وغيره، والصِّدْقُ خلاف الكذب، يقال: صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقاً وصِدْقاً وتَصْدَاقاً، وصَدَّقَهُ وصَدَّقَ به تَصْدِيقاً: اعترف بصِدْقِ قوله، وصَدَقَهُ الحديثَ: أنبأهُ بالصِّدْق، وصَدَقْتُهُ: قلتُ له صِدْقاً، وكذلك من الوعيد إذا أوقعتَ بهم قلتَ: صَدَقْتُهُمْ.

ورجلٌ صَدُوقٌ: أبلغُ من الصَّادِقِ، والمُصَدِّقُ الذي يُصَدِّقُكَ في حديثك، وهذا رجلُ صِدْقٍ: بمعنى نِعْمَ الرجُلِ هُوَ، فإذا نَعَتَّهُ قلتَ: هو الرجُلُ الصَّدْقُ، والصَّدْقُ الكامل في كل شيء.

والصِّدِّيقُ: الدائمُ الصِّدْقِ والمبالغُ فيه، والذي يُصَدِّقُ قولَهُ بالعمل.

والصِّدِّيقُ: المُصَدِّقُ بكل أمر الله عز وجل والنبي ﷺ لا يتخالجه شك في شيء...

هذا أهم ما ذكرته المعاجم والقواميس اللغوية في مادة (ص د ق)، فهي تدور حول معاني: القوة والكمال والمخاللة والمحبة والأمانة والصلابة والاستواء، وهي معانٍ متكاملة تؤول إلى معنى القوة كما أصَّله ابن فارس. ولا يخفى ما فيها من إشارة إلى بعض صفات الصديقية، ولم يكتف أئمة اللغة بذكر المعاني والدلالات اللغوية، بل أعطوا معنىً للصِّدِّيق هو أقرب إلى التعريف الاصطلاحي كما سنعرف بعد حين.

ثانيا: تعريف الصديقية اصطلاحا

حظي لفظ الصِّدْقِ وما يشتق منه باهتمام العلماء فعرَّفوه تعريفات اصطلاحية كثيرة ومختلفة يصعب حصرها، فقد نظرت كل طائفة إليه من جهة اختصاصها، وإذ لا يتسَنى ذكر كل أقوالهم ، فسأقتصر على إيراد نماذج منها.

فقد ذكر أصحاب المعاجم الاصطلاحية تعريفات للصِّدق والصِّدِّيقية، فعرَّفه الراغب

بقوله:" الصِّدْق: مطابقة القول الضمير والمُخبَر عنه معا، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن تاما...والصِّدِّيق: من كثر منه الصدق، وقيل: بل يقال لمن لا يكذب قط، وقيل: بل لمن لا يتأتى منه الكذب لتعوده الصدق، وقيل: بل لمن صَدَق بقوله واعتقاده وحقَّق صِدقه بفعله...فالصِّدِّيقُون هم قوم دُوَين الأنبياء في الفضيلة...ويعبر عن كل فعل فاضل ظاهرا أو باطنا بالصِّدق"[2].

وعرفه الكفوي بتعريف قريب مما ذكر الراغب فقال:" الصِّدق بالكسر: هو إخبار عن المخبر به على ما هو به مع العلم بأنه كذلك، والصِّدق التام: هو المطابقة للخارج والاعتقاد معا، فإن انعدم واحد منهما لم يكن صِدقاً تاماً...والصِّدق: هو أن يكون الحكم لشيء على شيء إثباتاً أو نفياً مطابقاً لما في نفس الأمر...والصِّديقية: درجةٌ أعلى من درجات الولاية، وأدنى من درجات النبوة، ولا واسطة بينها وبين النبوة، فمن جاوزها وقع في النبوة بفضل الله في الزمان الأول"[3].

أما الجرجاني والمناوي فقد اكتفيا بنقل أقوال أهل الحقيقة، وعرَّفا لفظ "الصِّدِّيق" تعريفا متشابها، فقال عنه الأول:" الصِّدِّيق: هو الذي لم يدع شيئا مما يظهره باللسان إلا حققه بقلبه وعمله"[4]، وقال الثاني:" الصِّدِّيق: من لم يكذب قط، أو من كثر منه الصِّدْق، أو من صَدَّق قوله اعتقاده، وحقق صِدْقُه فعله، أو الذي لم يدَعْ شيئا مما يظهره باللسان إلا حققه بقلبه وعمله"[5].

فهذه جملة من التعريفات تتفق في معانيها وإن اختلفت ألفاظها، فهي تؤكد على معنى واحد للصِّدق وهو تطابق قول اللسان مع اعتقاد الجنان وتحقيق ذلك بالأعمال، والصِّدِّيق من لازم الصِّدق ولم يكذب قط وحقق صِدْقه بعمله، أما الصِّدِّيقية فهي منزلة فوق الولاية ودون النبوة.

نستنتج من هذا الاستقراء للمعنى الاصطلاحي للفظ الصِّديقية، أن مفهومه ظل محافظا على معناه كمنزلة من منازل الكمال تلي مقام النبوة، وتقتضي ملازمة الصدق في القول والعمل.

فإلى أي حد استطاع أبو بكر رضي الله عنه أن يحقق كل تلك المعاني حتى استحق لقب الصِّديق بلا منازع، هذا ما سنتطرق إليه في المطلب الثاني من هذا المبحث.

المطلب الثاني: حظ أبي بكر رضي الله عنه من الصديقية

سنحاول رصد تلك المنزلة من خلال ما خُصَّ به أبو بكر رضي الله عنه من مناقب وفضائل دون غيره، ثم شهادة الصحابة رضي الله عنهم بتميُّزه ومكانته بينهم، وإجماع الأمة على صِدِّيقيته.

أولا: أخلاق أبي بكر رضي الله عنه ومكانته قبل الإسلام

فقد كان لأبي بكر رضي الله عنه مكانة متميزة بين قومه قبل الإسلام، قال عنها ابن عبد البر: "كان في الجاهلية وجيها رئيسا من رؤساء قريش، وإليه كانت الأشناق في الجاهلية، والأشناق:

الديات، كان إذا حمل شيئا قالت فيه قريش: صَدِّقُوه وأمضوا حمالته، وحمالة من قام معه أبو بكر، وإن احتملها غيره خذلوه ولم يصدقوه"[6].

ويحدثنا ابن هشام عن منزلة أبي بكر رضي الله عنه في قريش فيقول:" كان أبو بكر رجلا مَأْلفاً لقومه مُحبباً سهلاً، وكان أنسبَ قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلقٍ ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه، وتجارته وحسن مجالسته"[7].

هذا ما تميز به أبو بكر رضي الله عنه بين قومه قبل الإسلام وجعله محببا إليهم، فقد كان ذا خلق كريم، وعالما بأنساب قريش، وتاجرا ناجحا، وتلك خصال قلَّما اجتمعت في رجل واحد.

وقد ترَفَّع أبو بكر رضي الله عنه عن عادات الجاهلية، فكان كما وصفته ابنته الصِّديقة رضي الله عنها بقولها: "والله ما قال أبو بكر شِعراً قط في جاهلية ولا إسلام، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية"[8].

واشتهر أبو بكر رضي الله عنه بين قومه بأخلاقه، حتى وُصِف بما وَصفتْ به خديجةُ رضي الله عنها رسولَ الله ﷺ حين حدثها بخبر بداية الوحي[9]، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: " لَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِراً قِبَلَ الْحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ – وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ – فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِى قَوْمِى فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِى الأَرْضِ فَأَعْبُدَ رَبِّى . قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: إِنَّ مِثْلَكَ لاَ يَخْرُجُ وَلاَ يُخْرَجُ، فَإِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِى الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ..."[10].

ثانيا: الأحاديث النبوية الدالة على صديقية أبي بكر رضي الله عنه

كانت تلك أخلاق أبي بكر رضي الله عنه قبل إسلامه، وقد كان لسلامة فطرته ومصاحبة النبي ﷺ قبل بعثته أثر في استجابته للإسلام دون تردد، فكان أول الرجال إسلاما، ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: « إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِى إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ . وَوَاسَانِى بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِى صَاحِبِى » مَرَّتَيْنِ [11].

وفي رواية ابن إسحاق: "ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كَبوة ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة، ما عَكَم عنه حين ذكرته له، وما تردد فيه"[12]، قال البيهقي معلقا: "وهذا لأنه كان يرى دلائل نبوة النبي ﷺ، ويسمع آثاره قبل دعوته، فحين دعاه كان قد سبق فيه تفكره ونظره فأسلم في الحال" [13].

وقد تَبوَّأ أبو بكر رضي الله عنه المقام الأول بين صحابة رسول الله ﷺ، وأضحى صِدِّيق هذه الأمة، شهد له بذلك رسول الله ﷺ كما في الحديث الذي أخرجه البخاري، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُداً وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ:« اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ » [14]، وقد لُقِّب بالصِّديق لمبادرته إلى تصديق النبي ﷺ في كل ما جاء به، وأوَّلُ ما اشتهر به لتصديقه له في خبر الإسراء والمعراج، ففي حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها:" لما أُسرِي بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتدَّ ناسٌ ممن كانوا آمنوا به وصدَّقوه، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعُم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: وتُصدِّقُه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأُصدِّقه فيما هو أبعدُ من ذلك، أُصدِّقه بخبر السماء في غَدوة أو رَوحة، فلذلك سُمِّي أبا بكر الصِّدِّيق "[15].

ومن فضائل أبي بكر رضي الله عنه التي استحق بها لقب الصِّديق سبْقُه إلى الإسلام والنصرة والهجرة والجهاد وغيرها، ويكفي دليلا على ذلك ما ثبت من فضائله ومناقبه، فهو أول الرجال إسلاما، كما في حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه قال:" رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلاَّ خَمْسَةُ أَعْبُدٍ وَامْرَأَتَانِ وَأَبُو بَكْرٍ "[16]، وهو الصاحب في الهجرة، وثاني اثنين في الغار، كما قال الله تبارك وتعالى:﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]، وفي الحديث الصحيح عَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِى بَكْرٍ رضى الله عنه قَالَ قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِى الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا. فَقَالَ:« مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا »[17]، وفي حديث الهجرة الطويل قال أبو بكر رضي الله عنه:" ... فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَا ، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ . فَقُلْتُ هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: « لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا »[18]، فشرَفُ الصحبة في الهجرة فضيلةُ الفضائل ومنقبةُ المناقب للصِّديق، حتى قال عنها سفيان بن عيينة: «عاتب الله المسلمين جميعا في نبيه ﷺ غير أبي بكر رضي الله عنه وحده فإنه خرج من المعاتبة، ثم قرأ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ..(الآية)﴾»[19].

ومن فضائل أبي بكر رضي الله عنه التي استحق بها مقام الصِّديقية إنفاقه في سبيل الله، أسلم وله أربعون ألفا، أنفقها كلها على رسول الله ﷺ في سبيل الله[20]، فقال عنه ﷺ: « إِنَّ مِنْ أَمَنِّ

النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلاَّ سُدَّ، إِلاَّ بَابَ أَبِي بَكْرٍ »[21]، وقال أيضا:"ما نفعني مالٌ قَط، ما نفعني مالُ أبي بكرٍ، فبكى أبو بكر وقال:يا رسول الله! هل أنا ومالي إلا لك، يا رسول الله"[22].

ومن أدلة صديقية أبي بكر رضي الله عنه مسابقته في الخيرات، فقد كان أكثر الصحابة اجتهادا في الطاعات والقربات، ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من أصبح منكم اليوم صائما؟ " قال أبو بكر: أنا. قال: "فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ " قال أبو بكر: أنا. قال: "فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟ " قال أبو بكر: أنا. قال: "فمن عاد منكم اليوم مريضا؟" قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: "ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة"[23].

ولو رحنا نتتبع فضائل أبي بكر رضي الله عنه الدالة على صديقيته لطال المقال، ففضائله تكاد لا تحصى، قال عنها النووي:" وكم للصديق من مواقف وأثر؟ ومن يحصي مناقبه ويحيط بفضائله غير الله عزوجل؟ "[24]، وفيما ذكرنا غُنية وبيان للمقصود.

ثالثا: شهادة الصحابة على صديقية أبي بكر رضي الله عنه

لو لم يكن لأبي بكر رضي الله عنه من الفضائل إلا ما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه [25]، والرسول ﷺ في الصحيح من سنته لكفاه، ولكن الله عز وجل زاده تشريفا بأن كتب له القبول في قلوب المؤمنين فأحبوه ووَالَوْه، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أول من عرف للصِّديق مكانته، ولذلك وردت عنهم آثار كثيرة يُنوِّهون فيها بفضائله، سأكتفي بذكر شهادة رجلين من خيار أصحاب رسول الله ﷺ.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعترف بعجزه عن مسابقة أبي بكر رضي الله عنه في الإنفاق في سبيل الله فيقول:" أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: "ما أبقيت لأهلك"؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال:" يا أبا بكر! ما أبقيت لأهلك"؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبدا"[26].

وحين اقترح أبو بكر رضي الله عنه عمرَ أو أبا عبيدةَ لمنصب الخلافة وهم في السقيفة، رد عليه عمر رضي الله عنه:" بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ

عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ "[27]. وقال أيضا: " وَاللَّهِ أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي لاَ يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ مِنْ إِثْمٍ، أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ "[28].فإذا كانت هذه شهادة الفاروق رضي الله عنه – ومقامه بين الصحابة بالمكان المعلوم – فبقية الصَّحب رضي الله عنهم من باب أولى.

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه– الذي ادعى فيه أقوام ما ادعوا، حتى رفعوه إلى مقام العصمة، وجعلوه خصما للصديق– يؤكد سبق أبي بكر رضي الله عنه وفضيلته، فهو من قال كما أخبر عنه ولده محمد بن الحنفية قال: قُلْتُ لأَبِي أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ، قَالَ: مَا أَنَا إِلاَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ "[29]، وأخرج أحمد عن أبي جحيفة عن علي رضي الله عنه أنه قال: "خير هذه الأمة بعد نَبِيِّهَا أبو بكر، وخيرها بعد أبي بكر عمر، ولو شئت سمَّيتُ الثالث "[30]. وكان رضي الله عنه يقول: " لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري " [31].

أما شهادة عموم الصحابة رضي الله عنهم فيكفي فيها ما ذكر ابن عمر رضي الله عنهما، قال:" كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنهم "[32]، وفي رواية: " كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَداً ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ "[33]، فأبو بكر رضي الله عنه في المقام الأول في تفاضل الصحابة، يصرحون بذلك ورسول الله ﷺ يسمع، فلا ينكره.

هذا هو الصِّدِّيق الأكبر، لازم الصدق في القول والعمل، ولم تقع منه هِنَاة، فأضحى الرجل الثاني في الإسلام، أكرمه الله عز وجل ورفع شأنه فجعله وزيرَ نَبِيِّهِ فكان الصاحب في الهجرة وثاني اثنين في الغار، ونَوَّه الرسول ﷺ بفضْلِه وسَبْقِه وبَذْلِه، فأحبَّه وقرَّبه واختاره ليؤُمَّ الناسَ في الصلاة وهو حيٌّ ﷺ، وعرف الصحابة رضي الله عنهم أن ليس فيهم من تقطع إليه الأعناق مثله، فاختاروه خليفة لهم، وتوافقت الأمة على سمو قدره وعلو منزلته فأجمعت على صدِّيقيته، وتبارى العلماء في مدحه والثناء عليه بما هو أهله. فقال عنه سعيد بن المسيب: " كان أبو بكر من النبي ﷺ مكان الوزير، فكان يشاوره في جميع أموره، وكان ثانيه في الإسلام، وثانيه في الغار، وثانيه في العريش يوم بدر، وثانيه في القبر، ولم يكن رسول الله ﷺ يقدم عليه أحدا "[34].

وقال عنه الشعبي:" خص الله تبارك وتعالى أبا بكر الصديق بأربع خصال لم يخص بها أحدا من الناس: سماه الصديق ولم يسم أحدا الصديق غيره، وهو صاحب الغار مع رسول الله ﷺ، ورفيقه في الهجرة، وأمره رسول الله ﷺ بالصلاة والمسلمون شهود "[35].

وقال عنه أبو نعيم الأصفهاني:" أبو بكر الصديق، السابق إلى التصديق، الملقب بالعتيق، المؤيد من الله بالتوفيق، صاحب النبي ﷺ في الحضر والأسفار، ورفيقه الشفيق في كل الأطوار، وضجيعه بعد الموت في الروضة المحفوفة بالأنوار، المخصوص في الذكر الحكيم بمفخر فاق به كافة الأخيار، وعامة الأبرار، وبقي له شرفه على كرور الأعصار، ولم يَسْمُ إلى ذروته همم أولي الأيد والأبصار"(36).

ولو رحنا نسوق أقوال الصحابة والتابعين حول صِدِّيقية أبي بكر رضي الله عنه لضاق المجال، ولكن حسبنا أن الأمة مجمعة على أنه الصِّديق الأول، لعلو منزلته وكثرة مناقبه وفضائله، ولا عبرة بما يقوله بعض من لا يُعتد به من الطوائف المخالفة.

المبحث الثاني

إنجازات أبي بكر رضي الله عنه ومظاهر الصديقية فيها

بُويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفةً للمسلمين في اليوم الموالي لوفاة النبي ﷺ، وقد كانت كل القرائن تدل أنه المرشح لذلك، ليس بسبب تلك الأحداث والأحاديث التي تشير إشارات يفهمها كل ذي لب إلى أن الخلافة ستؤول إليه فحسب، وإنما بما كان يعرف الصحابة رضي الله عنهم من صِدِّيقيته رضي الله عنه، إذ كانوا بحاجة إلى رجل رحيم يواسيهم في مصابهم بفقد رسول الله، وما ألفوه من رحمته ﷺ، فكان الأجدر بذلك مَنْ وصَفه النبي ﷺ بقوله:" أرحم أمتي بأمتي أبو بكر..."(37)، فكان همزة وصل بين نبوة الرحمة وخلافة الرحمة كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ فيما أخرج الطبراني عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" أَوَّلُ هَذَا الْأَمْرِ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ ، ثُمَّ يَكُونُ خِلَافَةً وَرَحْمَةً..."(38)

وقد لاحت علامات الرحمة من الصديق رضي الله عنه قبل تَولِّيه الخلافة؛ حين ثبَّته الله جل وعلا يوم وفاة النبي ﷺ فثبَّتَ به الأمة، وحين قطع الخلاف في السقيفة بما ألهمه الله عز وجل من حجة في القول، فأعاد إلى الصحابة لُحمتهم، ثم حين خطب في الناس بعد بيعته، فأكد على اتباع هدي بني الرحمة ﷺ، خاصة حين ختم كلمته قائلا:" أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم"(39)، وفي رواية أنه قال:"أيها الناس: إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني"(40)، فكان العمل بالكتاب والسنة منهجه في الحكم والسياسة، وعنوان صِدِّيقيته.

ومنذ قام رضي الله عنه مقام رسول الله، لم يُخِلَّ بشيء من هديه ﷺ، فوفىَّ بالوعد الذي قطعه على

نفسه، ولم يُحابِ حتى فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها حين أرسلت إليه بعد وفاة أبيها تسأله نصيبها مما ترك رسول الله ﷺ من خيبرَ وفَدَكٍ، وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك، وقال:" لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ "(41).

خلافة الصِّدِّيق رضي الله عنه هي الأقصر مدة، إذ لم تزد عن سنتين ومائة يوم(42)، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك كما في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِى عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِى قُحَافَةَ، فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوباً أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِى نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْباً، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ »(43). فقوله:" فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوباً أَوْ ذَنُوبَيْنِ"، إشارة إلى مدة خلافته القصيرة، وليس في قوله:" وَفِى نَزْعِهِ ضَعْفٌ" حَطّ من فضيلة أبي بكر ولا إثباتُ فضيلةٍ لعمر عليه، وإنما إخبار عن مدة ولايتهما وكثرة انتفاع الناس في ولاية عمر لطولها (44)، فأبو بكر رضي الله عنه شُغل بقتال أهل الردة، وحين استخلَفَ عمرَ رضي الله عنه كان قد طهَّر الجزيرة من رجسهم، وهيأ له أسباب استقرار الدولة، ومن ثَمّ التوسع في الفتوحات.

ورغم قصر مدة خلافة الصِّديق رضي الله عنه، فإنها كانت حافلة بإنجازات عظيمة خلَّدها التاريخ، وتجلت فيها مظاهر صِدِّيقيته، فما تلك الإنجازات؟ وما مظاهر الصِّديقية فيها؟ ذلك ما ستحاول المطالب الآتية الإجابة عنه، وبالله التوفيق والسداد.

المطلب الأول: إنفاذ جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما

كان آخر عمل قام به النبي ﷺ قُبيل وفاته تجهيزُ جيش أسامة رضي الله عنه، قال ابن إسحاق:"وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام، وأمره أن يُوطِئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهز الناس، وأوعَب مع أسامة المهاجرون الأولون . قال ابن هشام: وهو آخر بعْثٍ بعثه رسول الله ﷺ"(45)، وقد أكد ﷺ على ضرورة إنفاذه، فقال في مرض وفاته:"انفذوا جيش أسامة"(46)، وتحرك الجيش فلما وصل إلى الجرف، عسكر هناك ينتظر أخبار النبي ﷺ الذي اشتد به المرض، ثم لم يلبث أن لحق بالرفيق الأعلى – بأبي هو وأمي – صلوات ربي وسلامه عليه، وتولى الصديق رضي الله عنه الخلافة، فنادى مناديه من الغد من متوفى رسول الله ليُتمِّم بعثَ أسامةَ:" ألا لا يبقين بالمدينة أحدٌ من جند أسامة إلا خرج إلى

عسكره بالجرف"[47].

كان ذلك أول قرار اتخذه خليفة رسول الله، وكيف لا يسارع إلى إكمال مشروع بدأه النبي ﷺ، وهو الذي تعهَّد أمام مبايعيه أن يطيع الله ورسوله؟

والحق أن إنفاذ جيش أسامة كان في ظرف استثنائي وحساس، إذ بدأت بوادر الردة والتمرد تلوح، وقد صورت عائشة رضي الله عنها ذلك بقولها:" لما قُبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة وأُشربت النفاق، والله لقد نزل بِأَبِي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزًى مَطِيرَةٍ في حُشٍّ (بستان) في ليلة مَطِيرَةٍ في أرض مَسْبِعَةٍ (ذات سباع)، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أَبِي بحظها وغنائها وفضلها"[48]، وعن ابن سعيد قال: " لما فصل أسامة كفرت الأرض وتضرمت، وارتدت من كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشا وثقيفا"[49].

وأمام هذا الوضع المنذر بالخطر، قال بعض الصحابة للصِّديق رضي الله عنه: " أمسكْ أسامةَ وبَعْثَه فإنا نخشى أن تميل علينا العرب إذا سمعوا بوفاة رسول الله ﷺ"[50]. فقد كانت كل المعطيات تؤيد ضرورة الإبقاء على جيش أسامة في المدينة النبوية لحمايتها من الخطر المحدق بها، لذلك بَدَا اقتراح تأجيل خروج الجيش منطقيا وواقعيا، ولكن الصديق رضي الله عنه خالف المتوقع، وأصدر قرارا حاسما بإكمال مشروع بعث جيش أسامة، ولم يلتفت إلى تحذيرات الناس وتخويفهم.

إن الصِّديق رضي الله عنه الذي صمَّم على إنفاذ جيش أسامة، كان ينطلق من عقيدة راسخة، هي وجوب طاعة أمر النبي ﷺ، ولذلك رد على مخالفيه بقوله:" والله لا أحُلُّ عقدة عقدها رسول الله ﷺ"[51]، وقال أيضا : " أنا أحبسُ جيشا بعثهم رسول الله ﷺ! لقد اجترأتُ على أمر عظيم، والذي نفسي بيده لَأَنْ تميل عليَّ العرب أحبَّ إليَّ من أن أحبس جيشا بعثهم رسول الله ﷺ، امضِ يا أسامة في جيشك للوجه الذي أُمِرْتَ به، ثم اغْزُ حيث أمرك رسول الله ﷺ من ناحية فلسطين، وعلى أهل مؤتة، فإن الله سيكفي ما تركتَ"[52].

وحين حذره الناس من اكتساح المرتدين للمدينة، لم يضعف ولم يتردد، بل ازداد إصراراً وعزيمةً، ورفع التحدي إلى أقصاه فقال:" لو أن الطير تخطفُنا، والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جَرَتْ بأرجُلِ أمهاتِ المؤمنين لأُجَهزنَّ جيشَ أسامة"[53].

ما سر هذا الإصرار والعزم، إنها الصديقية التي تستمد منطقها من الاتباع الكامل، وكل قضية

عند الصِّديق رضي الله عنه تتسع للاجتهاد إلا قضيةً أبرم اللهُ فيها حكماً، أو أصدر الرسولُ فيها أمراً، لقد أمرَ الرسول ﷺ قُبيل وفاته أن ينفذ بعث أسامة، وليكن ما أمر الرسول به مهما تكن مستحدثات الظروف، ومهما تكن الأخطار التي تهدد المدينة.!

وحين أدرك مقترحو إرجاء إنفاذ جيش أسامة أن أبا بكر رضي الله عنه ماضٍ في قراره، ويئسوا من تراجعه، قال مَنْ مع أسامة من الأنصار لعمر بن الخطاب رضي الله عنه:" فإن أبىَ إلا أن نمضي فأبلغه عنا، واطلب إليه أن يُوَلِّيَ أمرنا رجلا أقدمَ سِنّاً من أسامة"، فقال عمر:" إن الأنصار تطلب رجلا أقدم سنّاً من أسامة"، فوثب أبو بكر – وكان جالسا – وأخذ بلحية عمر، وقال:" ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله ﷺ، وتأمرني أن أنزعه"(54).

ومرة أخرى يرفض أبو بكر رضي الله عنه أي مساومة في أمر قضى به رسول الله ﷺ، إن الذي يُعرَض على الصِّديق شبيهٌ بما قال الناس حين طعنوا في إمارة أسامة رضي الله عنه يوم اختير لقيادة الجيش، وإذا كان رد النبي ﷺ يومها أنه خليق بالإمارة، فلا يُنتظر من الصِّديق رضي الله عنه إلا ذلك الرد الذي أسمعه عمرَ ليبلغه للمعترضين، إنها الصديقية التي لا تجترئ على تغيير شيء قضت به النبوة.

ولكي يعطي الصِّديق رضي الله عنه المثل في الانقياد والطاعة لما قضى به الرسول ﷺ فقد خرج حتى أتى جيش أسامة "فأشخصهم وشيَّعهم وهو ماشٍ وأسامة راكبٌ، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله، والله لتركبنَّ أو لأنزلنَّ! فقال: والله لا تنزل ووالله لا أركب! وما عليَّ أن أُغبِّر قدمي في سبيل الله ساعة"(55)، إنه يتمثل موقف النبي ﷺ مع معاذ بن جبل رضي الله عنه، لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، خَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوصِيهِ، وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ (56). ولم يقف الخليفة عند هذا الحد، بل بلغ من تقديره لمن أمَّرَهُ رسول الله ﷺ أن يستأذنه في الإبقاء على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة قائلا:" إن رأيت أن تعيننبي بعمر فافعل! فأذن له"(57).

ولم ينسَ وهو يودِّع الجيش أن يوصيه بآداب الغزو(58)، كما كان يفعل رسول الله ﷺ حين يرسل سرايا الجهاد(59)، ثم التفت إلى أسامة رضي الله عنه فلم يزد على أن قال له:" اصنع ما أمرك به نبي الله ﷺ...ولا تُقصِّرنَّ في شيء من أمر رسول الله ﷺ"(60).

سار أسامة بن زيد رضي الله عنهما بجيشه، فأغار على القبائل التي ظاهرت الروم على جيش المسلمين في غزوة مؤتة، وقضى على كل مقاومة صادفها هناك، وبعد أربعين يوما عاد إلى المدينة

سالماً غانماً، فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح، فقد تحقق لذلك الجيش ما لم يكن في الحسبان، قهَرَ الروم، فقالوا وقد تزامن خبر إغارة أسامة رضي الله عنه مع نعي رسول الله ﷺ:" ما بَالَى هؤلاء بمَوتِ صاحبِهم أن أغاروا على أرضنا"(61)، وفي رواية:" ما بَالُ هؤلاء يمُوتُ صاحبهُم وأن أغاروا علينا"(62)، ورَدَع كثيرا من أحياء العرب، فكان لا يمر على حي إلا أُرعبوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة،" فعل بسمعته ما لم يفعله بقوته وعدده، فأحجم من المرتدين من أقدم، وتفرق من اجتمع، وهادن المسلمين من أوشك أن ينقلب عليهم، وصنعت الهيبة صنيعها قبل أن يصنع الرجال، وقبل أن يصنع السلاح" (63)، فكان كما قال عروة: :" ما رُئي جيشٌ أسلمَ من ذلك الجيش"(64).

ولم أَجِدْ مَنْ نقل إلينا حقيقة تلك الأحداث أفضل من أبي هريرة رضي الله عنه الذي عبَّر عنها بقوله:" والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استُخلِف ما عُبد اللهُ. ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقيل له: مَهْ يا أبا هريرة. فقال: إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام، فلما نزل بذي خُشُب قُبِض رسول الله ﷺ، وارتدت العرب حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا بكر، رُدَّ هؤلاء، تُوَجِّهُ هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة؟ فقال: والذي لا إله غيره لو جَرَتِ الكلاب بأرجُل أزواج رسول الله ﷺ ما رددتُ جيشاً وَجَّهَهُ رسول الله ﷺ، ولا حللتُ لواءً عقده رسول الله ﷺ. فوجَّهَ أسامةَ، فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعُهُم حتى يلقوا الروم . فلقوا الروم فهزَمُوهم وقتَلوهم، ورجعوا سالمين، فثَبَتُوا على الإسلام"(65).

وبعد.. فهل كان الصديق رضي الله عنه مُجازفاً ومُغامراً لا يحسب حساباً للعواقب، أم كان مُستبداً ومُتعنِّتاً مُعتدّاً برأيه لا يصغي لنصح ناصح، حين أصرَّ على إنفاذ جيش أسامة ؟ أحْسَبُ أن الجواب أضحى جليا بعد أن تحققت تلك النتائج الباهرة، ويبقى السؤال الجوهري، ما الذي كان يسعف أبا بكر رضي الله عنه ويسدده في مواقفه ؟ والجواب: إنها الدرجات العلى من اليقين التي حازها، إنها "الصديقية" !

أما الدرس الذي يتعين على الأمة أن تستوعبه من إنفاذ الصِّديق رضي الله عنه لجيش أسامة فهو: أن الله تعالى قد ربط نصرها وعزها باتباع هدي النبي الكريم ﷺ، فمن أطاعه فله النصر والتمكين، ومن عصاه فله الذل والهوان، فَسِرُّ حياة الأمة في طاعتها لربها جل ثناؤه واقتدائها

بسنة نبيها ﷺ.

المطلب الثاني : قتال المرتدين

المظهر الثاني من مظاهر الصِّديقية في إنجازات أبي بكر رضي الله عنه في خلافته هو قتال المرتدين، وهو من أعظم مناقب الصِّديق، وليس من شأن هذا البحث تفصيل القول في أحداث الردة ولا تتبع أخبارها، وإنما يعنينا إبراز مواقف الصديق رضي الله عنه فيما عزم الله له من قتال المرتدين.

أشرنا آنفا إلى أن بوادر ردة عامة لاحت في الأفق بعد انتشار خبر وفاة رسول الله ﷺ، وإنفاذ أبي بكر رضي الله عنه لجيش أسامة، فقد تفشَّت الردة في قبائل العرب تفشياً ذريعاً قال عنه ابن إسحاق:" ارتدَّت العرب عند وفاة رسول الله ﷺ ما خلا أهل المسجدين، مكة، والمدينة، وارتدَّت أسد وغطفان، وعليهم طُليحة بن خويلد الأسدي الكاهن، وارتدَّت كندةُ ومن يليها، وعليهم الأشعث بن قيس الكندي، وارتدَّت مذحجٌ ومن يليها، وعليهم الأسود بن كعب العنسي الكاهن، وارتدَّت ربيعةُ مع المعرور بن النعمان بن المنذر، وكانت حنيفةُ مقيمةً على أمرها مع مسيلمة بن حبيب الكذاب، وارتدَّت سليم مع الفجاءة، واسمه أنس بن عبد يا ليل، وارتدَّت بنو تميم مع سجاح الكاهنة "(66).

فقد ارتدت أحياء كثيرة من الأعراب، وانحازت كل قبيلة إلى كاهنها تناصره وهي تعلم أنه كذاب، فكانوا كما قال طلحة النمري لمسيلمة عندما رآه وسمع منه ما عَلِمَ به كذبه:" أشهد أنك كذاب، وأن محمدًا صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر" (67)، وقد أغرى بعض الأعراب غياب جيش أسامة فطمعوا في المدينة وهمُّوا بالهجوم عليها، وقَدِمَتْ وفود أخرى تساوم في دين الله، تقِرُّ بالصلاة وتمتنع عن أداء الزكاة، فعزم الله جل وعلا لأبي بكر رضي الله عنه قتال كل هذه الطوائف لردتها، فأما المتنبئون وأتباعهم فقد أعلنوا كفرهم البواح ولم تختلف كلمة الصحابة في قتالهم، وأما الممتنعون عن دفع الزكاة فقد رأى بعض الصحابة – ومنهم عمر بن الخطاب – تأليفهم والرفق بهم حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم، ليُفرغ لقتال المارقين من الدين ومن نزع ربقة الإسلام من عنقه، لكن الصديق رضي الله عنه رفض ذلك رفضا قاطعا، وصَمَّم على قتالهم حتى يؤدوا زكاة مالهم، وقد دار حوار بين صاحبي رسول الله ﷺ، فحاجَّ الصديقُ الفاروقَ، كما في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ:" لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: كَيْفَ تُقَاتِلُ

النَّاسَ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّى مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ »، فَقَالَ: وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِى عَنَاقاً كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا . قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِى بَكْرٍ رضي الله عنه فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ "(68). وفي رواية مسلم:" والله لو منعوني عقالاً، كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه".

وتأمل تمثُّل أبي بكر رضي الله عنه منهج النبي ﷺ الدال على صِدِّيقيته حين لم يقبل المساومة على شيء مما كان يُعطى لرسول الله ﷺ والمعبر عنه بالعَنَاق، وهو: الأنثى من ولد المعز، أو العِقَال، وهو: الحبل الذي يعقل به البعير، وكلاهما كناية عن الأمر الهين الذي يمكن التغاضي والسكوت عنه، ولكنه عند الصِّديق رضي الله عنه ذو شأن وقيمة ولا يمكن التنازل عنه، إذْ كان يعطى لرسول الله ﷺ.

ومرة أخرى تُسعف الصِّديقية أبا بكر رضي الله عنه ليقف هذا الموقف الرباني الحاسم، فلا يضعف ولا يستكين، والعجيب أن الفاروق رضي الله عنه – وهو الشديد في دين الله – يطالب بمهادنة القوم وتأليف قلوبهم، ولما رأى الصديق رضي الله عنه منه ذلك الضعف انتهره بشدة وعنفه قائلا:" أجبارٌ في الجاهلية وخوارٌ في الإسلام ؟ إنه انقطع الوحي وتمَّ الدين أينقُص وأنا حيٌّ "(69). وسرعان ما أدرك عمر رضي الله عنه أن الصديق رضي الله عنه على حق، وهو ما عبر عنه بقوله:" فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِى بَكْرٍ رضي الله عنه فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ".

انصرفت وفود القبائل المانعة للزكاة من المدينة خائبة بعدما رأت عزم الصديق وحزمه، فأضمرت الشر، فقرأ الصديق في وجوه القوم الغدر، فقال لأصحابه يحذرهم:" إن الأرض كافرة وقد رأى وفدهم منكم قلة، وإنكم لا تدرون أليلاً تُؤتَوْن أم نهارًا! وأدناهم منكم على بريد، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم ونبذنا إليهم عهدهم فاستعدّوا وأعدّوا" (70).

وسرعان ما تحقق ما حذر منه الصديق رضي الله عنه، فبدأ التمرد وذرَّ قرنُ الردة، " فلم يلبثوا أن قدمت كتب أمراء النبي ﷺ من كل مكان بانتقاض عامة أو خاصة، وتبسطهم بأنواع الميل على المسلمين، فحاربهم أبو بكر بما كان رسول الله ﷺ حاربهم بالرسل. فردَّ رسلَهم بأمره، وأتْبعَ الرسلَ رسلاً، وانتظر بمصادمتهم قدومَ أسامة؛ وكان أول مَنْ صادم عبس وذبيان،

عاجلوه فقاتلهم قبل رجوع أسامة" (71).

وبعد أربعين يوما أو تزيد قليلا (72) عاد أسامة بن زيد بجيشه ظافرًا، فاستخلفه أبو بكر على المدينة وقال له ولجنده:" أريحوا وأريحوا ظهركم"، ثم خرج في الذين خرجوا إلى ذي القَصَّة والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظهر، فقال له المسلمون:" ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تُعرض نفسك! فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو، فابعث رجلاً فإن أصيب أمَّرْت آخر فقال:" لا والله لا أفعل، ولأواسينكم بنفسي"(73).

وبعد أن أخذ جيش أسامة قسطاً من الراحة، تهيأ الصِّديق رضي الله عنه للتعبئة العامة، وقرر أن يقود الجيش بنفسه لو لا أن عارضه الصحابة ومنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:" خرج أَبِي شاهراً سيفه راكباً على راحلته إلى وادي القَصَّة، فجاءه علي بن أبي طالب فأخذ براحلته فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال رسول الله يوم أُحُدٍ:" لمَّ سيفك ولا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أُصِبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبدا" (74).

رجع أبو بكر وعقد أحد عشر لواء واختار لها قيادات محنكة، وحدد لكل جيش وجهته، وكان من بين القادة خالد بن الوليد الذي عقد له لواءه وهو يقول:" سمعت رسول الله ﷺ يقول: "نِعْمَ عبدُ الله وأخو العشيرة، خالدُ بن الوليد، سيفٌ من سيوف الله سَلَّه على الكافرين والمنافقين"(75). وأرسل مع كل أمير كتابا يدعو فيه القبائل المرتدة أن تفيء إلى الإسلام، وإلا قاتلها (76). قدوته في ذلك رسول الله ﷺ.

واندفعت جيوش الحق لتدك معاقل الردة حيثما وجدت، فصالت وجالت في ربوع الجزيرة تلاحق فلول المرتدين، خاصة تلك التي أغواها المتنبئون كطليحة الأسدي ومسيلمة الكذاب، وبعد معارك ضارية وبطولات نادرة سجلها التاريخ، طهّر الله عز وجل جزيرة العرب من رجس الردة والمرتدين، فعادت إلى رحاب التوحيد وعبادة الله كما تركها رسول الله ﷺ.

ولا يتسع المقام للتفصيل أكثر في هذا الإنجاز العظيم الذي حققه المسلمون تحت قيادة أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه الذي ألهمه الله عز وجل الصواب في قتال المرتدين، فكانت عزمةً من عزمات الصِّديقية التي حفظت للإسلام قوته وللأمة وحدتها، ولو لا فضل الله جل وعلا، ثم ما فتح به على الصِّديق رضي الله عنه من تصميم على قتال المرتدين لكان للإسلام شأن آخر، وقد أكبَرَ الصحابة رضي الله عنهم ذلك الصنيع من خليفة رسول الله فمنحُوه ما يستحق من

التبجيل والتقدير، من ذلك هذا الموقف من عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي حكاه أبو رجاء العطاردي قال:" دخلتُ المدينة فرأيتُ الناس مجتمعين ورأيتُ رجلا يُقَبِّلُ رأس رجل ويقول: أنا فداءٌ لك لولا أنت هلكنا، فقلتُ: من المُقبِّل ومن المُقبَّل، قالوا: ذاك عمر يُقبِّل رأس أبي بكر في قتاله أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين"[77]، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:" لقد قُمنا بعد رسول الله ﷺ مقامًا كدنا نهلك فيه لولا أن مَنَّ علينا بأبي بكر؛ أجمعنا على أن لا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون وأن نأكل قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين، فعزم الله لأبي بكر على قتالهم، فوالله ما رضي منهم إلا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية". [78]

المطلب الثالث: جمع القرآن الكريم

كان من نتائج حروب الردة أن أظهر الله جل ثناؤه دينه، وأعز حنده من أصحاب رسول الله ﷺ، ومكَّن لهم، فطُهِّرت جزيرة العرب من رجس المرتدين، وأكرم جل ذكره عددا كبيرا من المجاهدين بالشهادة في سبيله، وهو شرف كانوا يتوقون لنيله، وكان في مقدمة أولئك الشهداء الكثير من حفظة كتاب الله تعالى، فقد استحر بهم القتل، خاصة في معركة اليمامة ضد جيش مسيلمة الكذاب [79]، فهَالَ ذلك عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، فأسرع إلى أبي بكر رضي الله عنه يشير عليه بضرورة جمع القرآن الكريم حتى لا يذهب كثير منه بموت أولئك الحُفَّاظ، وقد روى البخاري رحمه الله تعالى قصة جمع القرآن عن زَيْد بْن ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ:" أَرْسَلَ إِلَىَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِى فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ وَإِنِّى أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَإِنِّى أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ . قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ . فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِى حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِى لِذَلِكَ ، وَرَأَيْتُ فِى ذَلِكَ الَّذِى رَأَى عُمَرُ . قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ، إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْىَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِى نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَىَّ مِمَّا أَمَرَنِى مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِى حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِى لِلَّذِى شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِى خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِىِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرَهُ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِى بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ

اللَّهُ ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رضي الله عنه" (80).

وجمعُ القرآن الكريم من الإنجازات العظيمة في خلافة الصديق رضي الله عنه، وقد تجلت مظاهر الصِّديقية في هذا الإنجاز في عدة مواقف، منها: تحقيقُ وعدِ اللهِ عز وجل بحفظ كتابه العزيز في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:9]، وقد فَقِه الصحابة رضي الله عنهم وعلى رأسهم الصِّديق أن وعد الله جل ذكره لا يتحقق إلا بعزمات الرجال، فلم يفهموا من الآية الكريمة أن حفظ الله لكتابه يعفيهم من أي جهد، ولكنهم استشعروا مسئوليتهم في ذلك، فسارعوا إلى جمعه خشية أن يذهب أكثره، أما تردد الصِّديق رضي الله عنه في البداية فسببه التحرج أن يكون جمع القرآن بدعة في الدين، فكره أن يحلَّ نفسَه محلَّ من يجاوزُ احتياطَهُ للدين احتياطَ رسولِ الله ﷺ (81)، وهو الذي دأب على اتباع خطوات النبي ﷺ لا يحيد عنها قيد أنمُلة، ولذلك قال لعمر:" كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟"، وما زال عمر يراجعه حتى أقنعه بصواب الفكرة، فانشرح لها صدر الصديق، ثم راح أبو بكر يراجع زيد بن ثابت حتى اقتنع وشرح الله صدره للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعا، وفي انشراح الصدور إلهام رباني يكرم الله جل وعلا به صحابة رسول الله رضي الله عنهم إذا اختلفوا في أمر، وهي دليل صدقهم مع الله تعالى.

وكان تكليف زيد بن ثابت رضي الله عنه للقيام بتلك المهمة الشاقة اختيارا موفقا، فقد توفرت فيه جملة من المؤهلات ذكرها الصديق رضي الله عنه، فهو: أحد كتاب الوحي، وشاب قوي العزيمة، وعاقل فطن، وثقة وورع غير متهم في دينه، يضاف إليها أنه كان ممن جمع القرآن حفظًا في صدره في حياة رَسُول اللهِ ﷺ، فَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قُلْتُ لأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يُكْنَى أَبَا زَيْدٍ" (82)، وأنه فيما رُوي كان مِمَّن شهد العرضة الأخيرة للقرآن الكريم(83)، ومع ذلك فقد استشعر ثقل المهمة فقال:" فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِى نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَىَّ مِمَّا أَمَرَنِى مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ". وقد أدى زيد رضي الله عنه تلك المهمة على أكمل وجه وأحسنه، وكان جديرا بثقة الصديق رضي الله عنه.

والحاصل أن جمع القرآن الكريم من أعظم الإنجازات التي تحققت للمسلمين منذ خلافة الصديق رضي الله عنه إلى أن تقوم الساعة، وقد تجلت فيه بعض مظاهر الصديقية حين منحه أبو بكر رضي الله عنه من الاهتمام ما يليق بكتاب الله تعالى، فلم يدخر جهدا في توفير كل أسباب

نجاحه، بدءً بتحفظه حتى انشرحَ صدرُه، مروراً بتكليف أحد أكبر الصحابة عناية بالقرآن الكريم، وانتهاءً بجمعه وفق أدق مناهج التحري والضبط، فكان هذا الكتاب الخالد الذي بين أيدينا، محفوظا من التحريف، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

المطلب الرابع: طلائع فتح العراق والشام

هذا هو الإنجاز الرابع والأخير في خلافة الصديق رضي الله عنه، القصيرة مدة والمباركة أعمالا، وإنما سميتها طلائع الفتح لأنها لم تكتمل إلا في خلافة الفاروق رضي الله عنه، وسأحاول في هذا المقام إبراز مظاهر الصديقية في هذا الإنجاز دون ذكر تفاصيل الأحداث، وبالله التوفيق والسداد.

كان الأصل أن يستمر الفتح الإسلامي من حيث توقفت غزوات النبي ﷺ، لو لا ظهور حركة الردة التي شغلت المسلمين مدة من الزمن، وبذلوا فيها جهودا مضنية، وكلفتهم تضحيات جسيمة، ومع ذلك لم تكن شرا كله، بل كانت في كثير من جوانبها خيرا، فقد كشفت عن معدن الدولة التي أرسى أسسها رسول الله ﷺ، فإذا هي دولة قائمة على سنن جارية، تتعرض – شأن بقية الدول- لهزات قوية وثورات عنيفة، ولكنها تُحَوِّلُ تلك التحديات إلى محفزات فلا تزيدها إلا ثباتاً ورسوخاً، كما أنها كانت تمحيصا لصفوف المؤمنين حتى يتميز الخبيث من الطيب، لأن مهمة الجهاد في سبيل الله التي تنتظر المؤمنين شرف لا يستحقه إلا المخلصون، ودعوة الله لا يحملها إلا المتقون، وأخيرا فإن حروب الردة كانت بمثابة معسكر تدريب تلقى فيه المجاهدون دروسا تطبيقية في فنون القتال، تهيئة لهم للمعارك الحاسمة التي تنتظرهم ضد الأمبراطوريتين الفارسية والرومية.

بعد تطهير الجزيرة من لوثة الردة، تأهب المسلمون للانطلاق بدعوة الله لنشرها في الآفاق، ولم يكن خليفة رسول الله بحاجة إلى رسم خطط ولا تحديد أهداف، فقد كانت خارطة الطريق واضحة، رسم رسول الله ﷺ معالمها، وما على الصديق رضي الله عنه سوى اتباع منهجها.

فالمتأمل لأحداث السيرة النبوية يلحظ اهتمام الرسول ﷺ في أخريات حياته بتوسيع مجال دعوته لتطال مناطق خارج الجزيرة العربية، فكانت كتبه ورسائله إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام، في محرم سنة سبع من الهجرة [84]، ثم كانت غزوة مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة [85]، ثم كانت تبوك في رجب سنة تسع من الهجرة [86]، وهي آخر غزواته ﷺ، وختم رسول الله ﷺ حياته الجهادية بتجهيز جيش أسامة ليخرج إلى البلقاء، وتوفي ﷺ

والجيش يتأهب للخروج، والملاحظ أن كل تلك التحركات كانت إلى بلاد الشام حيث تتواجد دولة الروم.

وكان أكثر ما حفَّزَ أصحاب رسول الله ﷺ للتهيؤ لفتح العراق والشام، ما قرأوا من وعود ربانية صادقة في كتاب الله تعالى باستخلافهم في الأرض والتمكين لدينهم، وما سمعوا من بشائر الفتح حَدَّثهم عنها الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، وقد أيقنوا – وهم أفقه الناس بسنن الله تعالى– أن تلك الوعود والبشائر لا تكتمل إلا باتخاذ الأسباب واستفراغ الجهد، فشمروا على ساعد الجد، فكانت تلك الفتوحات العظيمة التي لم يعرف لها التاريخ مثيلا.

فما أهم ملامح الصِّديقية في فتح العراق والشام؟ ذلك ما سنحاول إبرازه بتتبع حركة الفتح وفق سياقها التاريخي.

أولا: فتح العراق

كان الصِّديق يود أن يبدأ من حيث انتهى رسول الله ﷺ، فيجهز الجيوش لفتح بلاد الشام أولا، لو لا أن المثنىَّ بن حارثة الشيباني قَدِم على أبي بكر وحثه على محاربة الفرس وقال له: ابعثني على قومي ففعل ذلك أبو بكر، فرجع المثنىَّ وشرع في الجهاد بالعراق، ثم إنه بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر يستمده، فكتب معه أبو بكر إلى المثنى:" أما بعد، فإني قد بعثت إليك خالد بن الوليد إلى أرض العراق فاستقبله بمن معك من قومك، ثم ساعده ووازره وكانِفْهُ (عَاوِنْهُ) ولا تعصينَّ له أمرًا ولا تخالفنَّ له رأيًا... فما أقام معك فهو الأمير، فإن شَخصَ عنك فأنت على ما كنت عليه" (87)، ثم كتب الصديق إلى سيف الله خالد رضي الله عنهما، وقد فرَغ من تصفية آخر جيوب المرتدين في معركة اليمامة:" أنْ سِرْ إلى العراق حتى تدخلها، وابدأ بفرج الهند، وهي الأَبُلَّة، وتألف أهل فارس، ومن كان في ملكهم من الأمم" (88)، قال ابن كثير: "وأمره بأن يأتي العراق من أعاليها، وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله عز وجل، فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية، فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم، وأمره أن لا يكره أحدًا على المسير معه، ولا يستعين بمن ارتد على الإسلام وإن كان عاد إليه، وأمره أن يستصحب كل امرئ مر به من المسلمين" (89).

بإرسال جيش خالد يكون الصديق رضي الله عنه قد دشَّن رسمياً بداية فتح بلاد فارس، وقد وفَّر لها كل أسباب النصر، فبعد التوكل على الله تعالى، والتصْدِيق بوعده بالنصر والتمكين لعباده المؤمنين، واليقين بتحقُّقِ بشائر النبي ﷺ، لم يدخر جهدا في اتخاذ الأسباب، فاختار قائداً محنكاً هو سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه، الذي لم تُنكَّس له راية، ومع ذلك يوصيه

ويرشده إلى المنهج الأقوم في التعامل مع الأعداء قبل قتالهم،كما تعلمه من رسول الله ﷺ، وحرصا منه أن تكون حركة الجهاد خالصة لله عز وجل فقد أرشده ألاَّ يُجنِّد إلا من صدقت نيته ورسخ إيمانه، فلا يُكرِهُ أحداً على الخروج معه، ولا يَستعينُ بمن تلوث بالردة، وقد كان موقف الصِّديق مع المرتدين صارما، ولذلك أكد على الاستغناء عن مشاركتهم في الفتوحات، حين كتب إلى خالد بن الوليد وعياض بن غَنْم رضي الله عنهما فقال:" استنفرا من قاتل أهل الردة ومن ثبت على الإسلام بعد رسول الله ﷺ، ولا يغزُوَنَّ معكم أحد ارتدَّ حتى أرى رأيي"، قال الطبري معلقا:" فلم يشهدِ الأيامَ مرتدٌ" (90)، يُستثنى من ذلك طليحة الأسدي، فقد ذكر ابن كثير أنه: "راجع الإسلام وذهب إلى مكة معتمرا أيام الصِّديق، واستحيى أن يواجهه مدة حياته، وشهد القتال مع خالد، وكتب الصِّديق إلى خالد:" أن استشره في الحرب ولا تُؤمِّرْه"، يعني معاملته له بنقيض ما كان قصده من الرئاسة في الباطن، وهذا من فقه الصِّديق رضي الله عنه وأرضاه" (91).

فالصِّديق رضي الله عنه يريد للجيش الذي يرفع راية الجهاد أن يكون مخلصا صادقا، ليس فيه من أغواه الشيطان فادَّعى النبوة، أو أغراه الطمع وأعماه التعصب القبلي فاتبع كل ناعق، أو أسَرَهُ حب المال فامتنع عن أداء زكاته، فمثل هؤلاء لا يؤتمنون على دين أو وطن، وهل أُوتِيَتِ الأمةُ إلا مِن قِبَلِ هؤلاء؟

انطلق الجيش الفاتح وهم قلة لا يزيدون بعد اكتمال عددهم عن ثمانية عشر ألف (92) لمقارعة جحافل الامبراطورية الفارسية التي تفوق المسلمين عدَداً وعُدَّةً، ولكن ذلك لم يَفُتَّ في عضدهم ولم يُضعِف عزائمهم، فقد كانوا بإيمانهم بالله جل وعلا, وسُمُو هدفهم أقوى وأشد، ودليل ذلك رسالة التحذير والنذير التي كتبها خالد رضي الله عنه إلى هرمز صاحب ثغر الأبلة يقول فيها:" أما بعد: فأسْلِمْ تسْلَمْ أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرِرْ بالجزية، وإلا فلا تلومَنَّ إلا نفسك، فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة" (93).

ودارت رحى الحرب بين المسلمين والفرس في خلافة أبي بكر رضي الله عنه في ثلاث عشرة معركة، كان بطلها سيف الله المسلول خالد بن الوليد، يساعده عياض بن غَنْم والمثنى بن حارثة، وقد تم ذلك في وقت قياسي، كان أولها ذات السلاسل في شهر محرم من العام الثاني عشر، وآخرها ذات الفراض في ذي القعدة من العام نفسه(94)، وكان النصر فيها حليف المسلمين، فلم تنكس لهم راية، وساعد على ذلك عدة عوامل أساسها توفيق الله جل وعلا، ثم اختيار قيادات عسكرية ذات حنكة عسكرية، وما كان يزود به الصديق الجيش من وصايا بضرورة الاستعانة

بالله تعالى وتقواه، واجتناب معصيته.

ثانيا: فتح الشام

لما كان فتح العراق أمراً طارئاً، ولم يكن من أولويات أبي بكر رضي الله عنه، فإنه لم يتوغل في الأراضي الفارسية، وإنما اكتفى بإقامة حامية لحراسة ما تمَّ فتحه، ريثما تتهيأ الظروف لاستكمال الفتح النهائي، وسبب ذلك ما ذكرنا من اعطاء الصديق الأولوية لفتح الشام، لأنه استكمال لمشروع بدأه رسول الله ﷺ. فلما عزم أبو بكر رضي الله عنه أن يجهز الجنود إلى الشام، دعا وجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم، فدخلوا عليه فقال:" أردت أن أستنفركم إلى الروم بالشام، فمن هلك هلك شهيدًا وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش عاش مدافعا عن الدين، مستوجبًا على الله –عز وجل– ثواب المجاهدين. هذا رأيي الذي رأيتُ، فليُشِرْ عليَّ كل امرئ بمبلغ رأيه"(95)، وتكلم بعض من حضر الاجتماع، واتفقت كلمتهم على بداية غزو الروم، ثم إن أبا بكر رضي الله عنه قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكره بما هو أهله، وصلى على النبي ﷺ ثم قال:" أيها الناس، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام وأعزكم بالجهاد، وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام، فإنني مُؤَمِّرٌ عليكم أمراء وعاقد لهم عليكم، فأطيعوا ربكم ولا تخالفوا أمراءكم، ولتحسن نيتكم وسيرتكم وطعمتكم؛ فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون"... وأمر أبو بكر بلالاً فنادى في الناس: أن انفروا إلى جهاد عدوكم الروم بالشام (96).

وواضح أن الصديق رضي الله عنه أكثر تحمساً لفتح الشام، فما إن عزم على الشروع فيه حتى جمع كبار الصحابة وشاورهم في الأمر، واستمع إلى آرائهم، وحين اتفقت كلمتهم، خطب في الناس وحظهم على الجهاد في سبيل الله، وكيف لا يتحمس وهو يدرك أنه يستكمل مشروعا بدأه النبي ﷺ؟

وقد اقتضى التخطيط الحربي أن يوزع الصديق رضي الله عنه الجيش بحسب الأقاليم في الشام، فعقد أربعة ألوية، واختار لها أفضل القيادات، فكانت كالآتي:(97)

1- جيش يزيد بن أبي سفيان ووجهه إلى دمشق

2- جيش أبي عبيدة بن الجراح ووجهه إلى حمص

3- جيش عمرو بن العاص ووجهه إلى فلسطين

4- جيش شرحبيل بن حسنة ووجهه إلى الأردن.

وتحركت الجيوش إلى بلاد الشام، وقد بلغ عددها مجتمعة واحدا وعشرين ألفا، يضاف إليها

ستة آلاف مع عكرمة بن أبي جهل مخصصة للمدد، وسمع الروم بزحف المسلمين، فكتبوا إلى هرقل، فخرج حتى نزل بحمص، فأعد الجنود وعبى العسكر،حتى بلغ من أرسلهم لقتال جيش عمرو تسعين ألفا، وإلى جيش أبي عبيدة في ستين ألف، ومثلها إلى بقية الأماكن، فأدرك القادة المسلمون ألاَّ قِبَلَ لهم بملاقاة كل تلك الجحافل متفرقين، ففزعوا بالكتب والرسل إلى عمرو يسألونه الرأي، فرد عليهم: إن الرأي الاجتماع...فاتَّعَدوا اليرموكَ ليجتمعوا به، وكتب ابن العاص إلى الخليفة يطلعه الخبر، فجاءهم كتابه بمثل رأي عمرو، وفيه:" ان اجتمعوا فتكونوا عسكرا واحدا، والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين، فإنكم أعوان الله، والله ناصرٌ من نصره، وخاذلٌ من كفره، ولن يؤتى مثلكم من قلة، وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة من عشرة آلاف إذا أوتوا من تلقاء الذنوب، فاحترسوا من الذنوب، واجتمعوا باليرموك متساندين، وليُصَلِّ كل رجل منكم بأصحابه" (98).

فهذا الصِّديق رضي الله عنه لا يستنكف أن ينزل عند رأي غيره، ويغير خطته الحربية، فسرعان ما تجاوب مع القادة في الميدان، وزودهم بأقوى زاد حين أرشدهم أنهم لن يغلبوا من قلة إذا احترسوا من الذنوب، وإنما ينصر المؤمنون بطاعتهم لربهم ومعصية عدوهم له، فإذا كانوا في المعصية سواء، كانت القوة إلى القوة فغلبت الكثرة، وتأمل ذكر الصلاة في كل مراسلة، إنها سر النصر والتمكين.

ولم يكتفِ الخليفة بتلك التعبئة الروحية، بل زاد عليها بتعبئة مادية حين أرسل إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه وهو بالعراق يستحثه في السير لإمداد جيش المسلمين بالشام، وفي الاستعانة بخالد رويةٌ وحكمةٌ صدِّيقية، فخالد في تقدير الصِّديق "سيف الله الذي سَلَّه اللهُ على الكفار"، كما سمع ذلك من رسول الله ﷺ، لطالما أشار عليه الفاروق بعزله بسبب بعض تجاوزاته التي كان أبو بكر يتغاضى عنها، ويرد على عمر بقوله:" لا أُشِيمُ (أُغمد) سيفاً سله الله على الكفار"(99). ومن أقوى ما قال أبو بكر رضي الله عنه في التنويه بسيف الله خالد رضي الله عنه رده على قائد الروم حين قال:" والله لنُشغِلَنَّ أبا بكر من أن يورد الخيول إلى أرضنا"، فقال الصِّديق:" والله لأُنْسِيَنَّ النصارى وساوس الشيطان بخالد بن الوليد" (100).

وحين قرر الصِّديق أن ينقل خالد بن الوليد بجيشه إلى الشام، وأن يتولى قيادة الجيوش بها، كان يدرك أن الأمر يحتاج إلى قائد يجمع بين قدرة أبي عبيدة ودهاء عمرو وحنكة عكرمة وإقدام يزيد، وأن يكون صاحب قدرة عسكرية فائقة مع قدرة على حسم الأمور وصاحب دهاء وحيلة وإقدام،

وصاحب حنكة ودراية مع دقة في تقدير المواقف، وصاحب تجربة طويلة في المعارك [101].

واجتمع جيش المسلمين باليرموك بعد وصول جيش خالد فارتفع تعدادهم إلى ست وثلاثين ألف، فيهم ألف صحابي، منهم نحو مائة بدري، أما تعداد الروم فقد بلغ أربعين ومائتي ألف [102]، وَالْتَقَى الجمعان، وقد أحكم خالد القائد خطته فوزع الجيش إلى كراديس، وجعل على كل كردوس قائدا بطلا، ونشب القتال، والتحم الناس، وتطارد الفرسان، فإنهم على ذلك إذ قدم البريد من المدينة، فأبلغ خالدا الخبر، فإذا به موت الخليفة أبي بكر رضي الله عنه وعزل خالد وتأمير أبي عبيدة، فأخذ خالد الكتاب وجعله في كنانته، وكتم الخبر وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند، ويحصل ضعف ووهن في تلك الحال،[103]، وتلك رباطة جأش خالد وقوة شخصيته، فلما انجلى غبار المعركة عن نصر مؤزر للمسلمين وهزيمة نكراء للروم، أخبر خالد الناس الخبر. قال ابن كثير:" فما فرحوا بقدر حزنهم على الصديق حين أعلمهم خالد بذلك، ولكن عوضهم بالفاروق رضي الله عنه" [104].

وهكذا ظل الصديق رضي الله عنه يحمل هَمَّ الدعوة إلى الإسلام ونشره حتى الرمق الأخير من حياته، فقد كانت آخر وصيته للفاروق رضي الله عنه بعد أن استخلفه، وقد زاره المثنى بن حارثة الشيباني، فوجده على فراش المرض وقد شارف على الموت، واستقبله أبو بكر واستمع إليه واقتنع برأيه، ثم طلب عمر بن الخطاب فجاءه، فقال له:" اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به، إني لأرجو أن أموت من يومي هذا، فإن أنا مِتُّ فلا تمسِيَنَّ حتى تندب الناس مع المثَنَّى، ولا تشغلنكم مصيبةٌ وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم، وقد رأيتني متوفَّى رسول الله وما صنعتُ ولم يُصَبِ الخلقُ بمثله، وإن فتح الله على أمراء الشام فاردُدْ أصحابَ خالدٍ إلى العراق، فإنهم أهله وولاة أمره وحَدُّه، وهم أهل الضراوة بهم والجراءة عليهم" [105].

وبعد.. فهذا هو الإنجاز الرابع من إنجازات الصِّديق رضي الله عنه رصدتُ فيه التحرك الفتوحي في جبهتي العراق والشام، وحاولتُ إبراز مظاهر الصديقية فيه، فألفيتُ أبا بكر رضي الله عنه ينطلقُ في مشروعه الجهادي من وعود القرآن الكريم، وبشائر النبي ﷺ بالتمكين للإسلام واستخلاف المؤمنين، فكانت تلك عقيدة راسخة لديه، ثم دعمها باتخاذ الأسباب واستفراغ الجهد في الإعداد والتخطيط، واختيار أكفأ القيادات، وتزويدهم بأعز الوصايا وأدق التعليمات، وباجتماع اليقين والأسباب تحققت وعود الله جل ثناؤه، وانتصر المسلمون في معاركهم ضد أقوى امبراطوريتين في ذلك الزمان، فكانت أشبه بالمعجزات، وليس من تفسير

لتلك الظاهرة، سوى أنها قوة الإيمان أو هي مظهر من مظاهر الصِّديقية.

خاتمة

بعد هذه الرحلة الممتعة مع الخليفة الراشدي أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه وأرضاه، والتي حاولت أن أستجلي من خلالها مظاهر الصِّديقية في إنجازاته، أخلص إلى تسجيل أهم النتائج التي انتهتْ إليها هذه الدراسة.

- الصديقية مقام من مقامات الكمال ومنزلة من منازل الربانية، تلي مرتبة النبوة، تقتضي المبالغة في الصدق والتصديق في القول والعمل.

- أبو بكر رضي الله عنه هو الصِّديق الأول في هذه الأمة، لقبه بذلك رسول الله ﷺ، وقد حاز هذا المقام الرباني بما أوتي من مناقب وفضائل فاق بها بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، منها: سبْقُه إلى الإسلام والنصرة والهجرة والإنفاق والجهاد وغيرها، وقد شهد له بذلك الصادق المصدوق ﷺ.

- تولى أبوبكر رضي الله عنهم الخلافة بعد رسول الله ﷺ، فكان اختياره توفيقا من الله جل وعلا، ثم فقهاً من الصحابة، إذ كانوا بحاجة إلى رجل رحيم يواسيهم في مصابهم بفقد رسول الله، وما ألفوه من رحمته ﷺ، فكانت خلافة رحمة بعد نبوة الرحمة.

- رسم الصِّديق رضي الله عنه منهجه في سياسة الحكم حين خطب في الناس بعد بيعته، فأكد على اتباع هدي بني الرحمة ﷺ، فكان العمل بالكتاب والسنة منهجه في الحكم والسياسة، وعنوان صِدِّيقيته.

- برزت مظاهر الصِّديقية جلية من خلال الأعمال الجليلة التي قام بها خليفة رسول الله في مدة خلافته القصيرة، وقد كانت في جملتها تحديات كبيرة، حَوَّلَها أبوبكر رضي الله عنه بعزيمته وصديقيته إلى إنجازات خلدها التاريخ، بل أضحت من أعظم الحسنات التي أسداها الصديق للأمة، وبقيت آثارها شاهدة على قوة شخصيته وعمق فقهه، وأحقيته بخلافة رسول الله ﷺ في أمته.

- استنتجتُ من تصميم أبي بكر رضي الله عنه على إنفاذ جيش أسامة، أن الخير كل الخير في طاعة أمر النبي ﷺ، فقد أدرك الصِّديق أنه مشروع بدأه رسول الله ﷺ، فلا بد من إكماله مهما كانت الظروف، وقد تحقق لذلك الجيش ما لم يكن في الحسبان، قهَرَ الروم، ورَدَع كثيرا من أحياء العرب، فكان لا يمر على حي إلا أُرعبوا منهم.

- خلصت من حديثي عن الإنجاز الثاني المتعلق بقتال المرتدين، أن حركة الردة كانت تحدٍ

كبير واجهته دولة الإسلام الفتية، حين رمتها قبائل العرب عن قوس واحدة، فكانت خطباً جلَلاً زعزع كثيرا من الصحابة، فمالوا إلى المهادنة، إلا أبا بكر رضي الله عنه؛ فقد ثبَّته الله عز وجل، وألهمه الرشد فأعلن الحرب على المرتدين، فكانت عزمةً من عزمات الصِّديقية التي حفظت للإسلام قوته وللأمة وحدتها. كما كانت حركة الردة ظاهرة صحية، أثبتت أن الدولة التي أرسى النبي ﷺ أسسها، وورثها الصحابة رضي الله عنهم، لم تكن قائمة على الخوارق، بل هي قائمة على سنن جارية، تتعرض للهزات شأن بقية الدول، ولكنها تملك القدرة على تحويلها إلى محفزات، فلا تزيدها إلا قوة وصلابة.

- جمعُ القرآن الكريم من الإنجازات العظيمة التي حققها المسلمون في خلافة الصِّديق رضي الله عنه، فقد دل على فقه الصحابة رضي الله عنهم حين فهموا أن وعدِ اللهِ عز وجل بحفظ كتابه العزيز لا يتحقق إلا بعزماتهم، وقد تجلت مظاهر صديقية أبي بكر رضي الله عنه في هذا الإنجاز الخالد حين هيأ له كل أسباب إنجاحه، فتم بأدق شروط التحري والضبط، على يد أحد أكبر حملة القرآن ورعا وأمانة وحفظا، فكان جمع القرآن الكريم من أعظم عزمات الصِّديق رضي الله عنه وسننه الحسنة.

- ختم الصِّديق خلافته القصيرة والمباركة باستكمال المشروع الدعوي النبوي بتبليغ الرسالة، فكانت طلائع فتح العراق والشام يحدوه فيها وعود الله جل ثناؤه، وبشائر النبي ﷺ باستخلاف المؤمنين والتمكين لدينهم، فنشط لتلك المهمة وأعد لها ما استطاع من قوة، واختار لها أكفأ القيادات العسكرية، وزودها بأنفع الوصايا والتخطيطات الحربية، مستلهما ذلك كله من مشكاة النبوة، فكانت نتائجها بحمد الله مرضية، وهيأت أسباب وظروف الانطلاقة الكبرى في الخلافة العمرية.

وبالله التوفيق والسداد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: محمد علي بجاوي، دار الجيل بيروت، 1412ه/ 1992م.
2. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، (د.ت).
3. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: رياض عبد الحميد مراد وآخران، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1428ه/ 2007م

4. تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط:2، 1434ه/ 2013م.

5. تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط:2، 1405ه/ 1985م.

6. تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، محمد يسري هاني، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1418ه.

7. تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط:2، 1969م.

8. تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، دراسة وتحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1415ه/ 1995م.

9. التعريفات، السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421ه/ 2000م

10. تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف النووي، صححه وخرَّج أحاديثه: عادل مرشد وعامر غضبان، دار الرسالة العالمية، دمشق، 1430ه/ 2009م.

11. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، سورية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1410ه/ 1990م.

12. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الوراق للنشر والتوزيع، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1422ه/ 2002م.

13. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، وثَّق أصوله وخرَّج أحاديثه وعلق عليه: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:2، 1423ه/ 2002م.

14. الرياض النضرة في مناقب العشرة، محب الدين أبي جعفر أحمد بن عبد الله الطبري، دراسة وتحقيق وتعليق: عيسى بن عبد الله الحميري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م.

15. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض،(د.ت).

16. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1419ه/ 1998م.

17. سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، دار الوراق للنشر والتوزيع، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1422ه/ 2001م.

18. سِيَرَ أعلام النبلاء (الخلفاء الراشدون)، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417ه/ 1996م .

19. السيرة النبوية، محمد بن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).

20. شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف الله ابن بطال، مكتبة الرشد، الرياض،(د.ت).

21. صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط:2، 1419ه/1999م .

22. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط:2، 1421ه/2000م .

23. صفة الصفوة، جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي، حققه وعلق عليه: محمود فاخوري، دار المعرفة بيروت، ط:3، 1405ه/ 1985م.

24. الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1421ه/ 2001م.

25. عبقرية الصديق، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، (د.ت).

26. فتوح الشام، محمد بن عبد الله الأزدي، صححه: وليم ناسوليس الأيرلاندي، طبع في كلكتة، الهند، 1854م.

27. فضائل الصحابة، أحمد بن محمد بن حنبل، حققه وخرَّج أحاديثه: وصي الله بن محمد عباس، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط:3، 1426ه.

28. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط:8- 1426ه/2005م.

29. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407ه/ 1987م.

30. كتاب الردة، محمد بن عمر الواقدي، رواية أحمد بن محمد بن أعثم الكوفي، تحقيق: يحي الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1410ه/ 1990م.

31. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق وترتيب: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423ه/2004م .

32. الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق:عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة, بيروت, لبنان، ط:2- 1432ه/ 2011ه .

33. لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت ، لبنان ، (د. ت) .

34. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422ه/ 2001م.

35. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، القاهرة، 1435ه/ 2014م.

36. المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416ه / 1996م .

37. مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي،بيروت، ط:2، 1399ه/ 1979م.

38. معالم السنن مع سنن أبي داود، أبو سليمان الخطابي، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار ابن حزم، بيروت، 1417ه/ 1997م.

39. معجم الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط:3-1429ه/2008م.

40. المعجم الكبير، أبوالقاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حققه وخرَّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (د.ت).

41. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، دار الكتب العلمية, بيروت، لبنان,1420ه /1999م.

42. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط:4-1425ه/2004م .

43. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق، الدار الشامية ، بيروت، ط:4، 1430ه/ 2009م.

44. المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف النووي، بيت الأفكار الدولية، الأردن – السعودية، (د.ت).

ـ الهوامش:

[1] – ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 2/35-36، معجم الصحاح، الجوهري، ص:584، كتاب العين، الفراهيدي، 2/384-385، لسان العرب، ابن منظور، 10/193- 195، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص:900، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص:510-511.

[2] – مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص:478-479.

[3] – الكليات، الكفوي، ص:467-468.

[4] – التعريفات، الجرجاني، ص: 135.

[5] – التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص:451.

[6] – الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، 3/966.

[7] – السيرة النبوية، ابن هشام،1/267.

[8] – تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، 30/334، وينظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص:105.

[9] – ورد ذلك في صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم:3، ص:1، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم:403،

ص:80.

[10] – أخرجه البخاري، كتاب: الكفالة، باب: جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده، رقم:2297، ص:367.

[11] – أخرجه البخاري، كتاب: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم:"لو كنت متخذا خليلا"،رقم:3661، ص:614.

[12] – السيرة النبوية، ابن هشام، 269/1، وينظر: دلائل النبوة، البيهقي، 164/2، وتاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، 44/30.

[13] – دلائل النبوة، البيهقي، 164/2.

[14] – أخرجه البخاري، كتاب: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم:"لو كنت متخذا خليلا"، رقم:3675، ص:617.

[15] – أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، رقم:4513، 249/5، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم:306، 615/1.

[16] – أخرجه البخاري، كتاب: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم:"لو كنت متخذا خليلا"، رقم:3660، ص:614.

[17] – أخرجه البخاري، كتاب: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم، رقم:3653، ص:613، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم:6169، ص:1049.

[18] – أخرجه البخاري، الكتاب نفسه، والباب نفسه، رقم:3652، ص:613.

[19] – تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، 92/30، وينظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص:127.

[20] – ينظر: الطبقات، ابن سعد، 158/3، والاستيعاب، ابن عبد البر، 966/3.

[21] – أخرجه البخاري، كتاب: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر، رقم:3654، ص:613، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم:6170، ص:1049–1050.

[22] – أخرجه أحمد: رقم:12،414/7446، وقال محققاه: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وابن ماجة، المقدمة، باب: في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم:94، ص:20–21.

[23] – أخرجه مسلم، ، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم:6182، ص:1051.

[24] – تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ص:375.

[25] – لم استدل بنصوص القرآن الكريم على صديقية أبي بكر رضي الله عنه، بسبب اختلاف المفسرين، واكتفيت بالأحاديث النبوية الصريحة في ذلك.

[26] – أخرجه أبو داود، كتاب الزكاة، باب: في الرخصة في ذلك، رقم:1678، ص:263، والترمذي، كتاب: المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال: هذا حديث حسن صحيح، رقم:3684، ص:1013.

[27] – أخرجه البخاري، كتاب: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب: قول النبي صلى الله عليه

وسلم:"لو كنت متخذا خليلا"، رقم:3668، ص:616

[28] – أخرجه البخاري، كتاب: الحدود، باب: رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت، رقم:6830، ص:1178.

[29] – أخرجه البخاري، كتاب: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم:"لو كنت متخذا خليلا"، رقم:3671، ص:616

[30] – أخرجه أحمد في فضائل الصحابة، رقم:45، 1/95–96، وقال محققه: إسناده صحيح.

[31] – المصدر نفسه، رقم:49، 1/98، وقال محققه: إسناده ضعيف، وينظر: الرياض النضرة في مناقب العشرة، محب الدين الطبري، 1/380،

[32] – أخرجه البخاري، كتاب: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب: مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، رقم:3698، ص:622.

[33] – أخرجه البخاري، كتاب: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب: فضل أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم،رقم:3655، ص:613–614

[34] – المستدرك، الحاكم، رقم:4462، 5/227.

[35] – تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، 30/266، وينظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص:141.

[36] – حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، 1/28.

[37] – أخرجه أحمد، المسند، رقم: 12904، 20/252، وإسناده صحيح، والترمذي، كتاب: المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت... رقم:3800، ص:1083، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة، المقدمة، باب: فضائل زيد بن ثابت، رقم: 154، ص: 28.

[38] – أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، رقم:11138، 11/88، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، (مجمع الفوائد: رقم: 8964، 5/246)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم:3270، 7/802.

[39]– السيرة النبوية، ابن هشام، 4/311، الطبقات، ابن سعد، 3/167، تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 3/210، الكامل في التاريخ، ابن الأثير،2/194– 195، البداية والنهاية، ابن كثير،6/4.

[40] – الطبقات، ابن سعد، 3/167.

[41] – أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم " لا نورث ما تركنا فهو صدقة"، رقم:4582، ص:780.

[42] – الطبقات، ابن سعد، 3/185، وتاريخ خليفة بن خياط، ص:122، وسِيَر أعلام النبلاء (الخلفاء الراشدون)، الذهبي، ص: 16.

[43] – أخرجه البخاري، كتاب: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم:"لو كنت متخذا خليلا"، رقم:3668، ص:616، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر رضي الله عنه، رقم:6192، ص:1053.

[44] – المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ص: 1464، بتصرف يسير.

[45] – السيرة النبوية، ابن هشام، 4/291.

[46] – الطبقات، ابن سعد، 4/62، تاريخ خليفة بن خياط، ص:100، سِيَر أعلام النبلاء (الخلفاء الراشدون)، الذهبي، ص:33.

[47] – تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 3/223، وينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، 4/9.

[48] – البداية والنهاية، ابن كثير، 4/11.

[49] – تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 3/242.

[50] – سِيَر أعلام النبلاء (الخلفاء الراشدون)، الذهبي، ص:33.

[51] – البداية والنهاية، ابن كثير،4/10.

[52] – سِيَر أعلام النبلاء (الخلفاء الراشدون)، الذهبي، ص:33

[53] – المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[54] – تاريخ الرسل والملوك، الطبري،3/226، وينظر:الكامل في التاريخ، ابن الأثير،2/199–200، والبداية والنهاية، ابن كثير، 4/12.

[55] – تاريخ الرسل والملوك، الطبري،3/226

[56] – أخرجه أحمد، المسند، رقم:22052، 36/376، وإسناده صحيح، وابن حبان، كتاب: الرقائق، باب: الخوف والتقوى، رقم:647، 2/414.

[57] – ينظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 3/226

[58] – المصدر نفسه، 3/226–227، وينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، 2/200.

[59] – كما في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم للجيش المتجه إلى معركة مؤتة، ينظر: صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، رقم: 4522، ص:768، وأبو داود، كتاب: الجهاد، باب في دعاء المشركين، رقم: 2613، ص:402، والترمذي، كتاب: الديات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في النهي عن المثلة، رقم: 1412، ص:433.

[60] – تاريخ الرسل والملوك، الطبري،3/227، وينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، 2/200.

[61] – الطبقات، ابن سعد، 4/62.

[62] – سير أعلام النبلاء، الذهبي، 2/503.

[63] – عبقرية الصديق، العقاد، ص: 109.

[64] – الطبقات، ابن سعد، 4/62.

[65] – البداية والنهاية، ابن كثير، 4/11.

[66] – المصدر نفسه، 4/20.

[67] – تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 3/286، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، 2/220.

[68] – أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب: وجوب الزكاة، رقم: 1399و1400، ص:225، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله محمد رسول الله... رقم: 125، ص:32.

[69] – مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر رضي الله عنه رقم: 6025، 3/1701.

[70] – تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 3/245.

[71] – تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 3/243.

[72] – ينظر: المصدر نفسه، 3/227، والكامل في التاريخ، ابن الأثير،2/207.

[73] – تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 67/4، والبداية والنهاية، ابن كثير، 22/4.

[74] – المصدر نفسه، 23/4.

[75] – أخرجه أحمد، المسند، رقم:43، 216/1، وقال محققه: حديث صحيح بشواهده.

[76] – ينطر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 250/3–251، والبداية والنهاية، ابن كثير، 23/4–24.

[77] – صفة الصفوة، ابن الجوزي، 250/1، والرياض النضرة في مناقب العشرة، محب الدين الطبري، 45/2–46.

[78] – الكامل في التاريخ، ابن الأثير، 205/2.

[79] – روى خليفة بن خياط في تاريخه، (ص:111)، عن ابن المسيب، قال: "شهداء اليمامة خمسمائة، فيهم خمسون أو ثلاثون من حملة القرآن".

[80] – أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: جمع القرآن، رقم:4986، ص:894.

[81] – ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، 222/10.

[82] – أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم:5003، ص:897.

[83] – البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 237/1.

[84] – ينظر: الطبقات، ابن سعد، 222/1، والسيرة النبوية، ابن هشام، 254/4.

[85] – ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام، 15/4.

[86] – ينظر المصدر نفسه، 159/4.

[87] – كتاب الردة، الواقدي، ص:221.

[88] – تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 343/3.

[89] – البداية والنهاية، ابن كثير، 62/4.

[90] – تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 347/3

[91] – البداية والنهاية، ابن كثير، 27/4.

[92] – تاريخ الرسل والملوك، الطبري،347/3.

[93] – المصدر نفسه،347/3–348.

[94] – ينظر في تفصيل تلك المعارك: تاريخ الرسل والملوك، الطبري،343/3– 384، و البداية والنهاية، ابن كثير، 63/4–79.

[95] – فتوح الشام، محمد بن عبد الله الأزدي، ص:1.

[96] – المصدر نفسه، ص:3–4 .

[97] – ينظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 3/ 394، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، 255/3،والبداية والنهاية، ابن كثير، 84/4.

[98] – تاريخ الرسل والملوك، الطبري، 3/ 392– 393، الكامل في التاريخ، ابن الأثير،255/2، والبداية والنهاية، ابن كثير، 87/4.

[99] – تاريخ الرسل والملوك، الطبري ، 391/3، والبداية والنهاية، ابن كثير،31/4،

[100] – البداية والنهاية، ابن كثير، 87/4، وذكر ابن الأثير في الكامل،258/2، أنهم تعداد المسلمين كان أربعين ألفاً.

[101] – تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، محمد يسري هاني، ص:346، بتصرف.

[102] – تاريخ الرسل والملوك، الطبري ، 3/394.

[103] – ينظر: المصدر نفسه، 3/398، البداية والنهاية، ابن كثير، 4/96.

[104]– البداية والنهاية، ابن كثير، 4/97.

[105] – الكامل في التاريخ، ابن الأثير: 2/263.

The aspects of truthfulness of Abu Bakr

Dr. Hocine CHORFA*

Abstract:

This investigation deals with an aspect of excellence in the personality of the Caliph Abu Bakr, may Allah be pleased with him represented in Alsidikiah i.e the most truthful. This latter is the capacity in which he exceeded his companions, God bless them, and he won the title of the most righteous in this nation. This study attempts to highlight the reality of this virtue through the achievements he realized during his succession.

Although the succession of the faithful person lasted no more than two years and three months, it had witnessed four great achievements rarely repeated in history. This has no other explanation other than the qualities and virtues endowed to the Caliph Abu Bakr, may Allah be pleased with him especially his faithfulness, which qualified him to lead the Muslims after the death of the Prophet, peace be upon him.

So, what is the truth behind the truthfulness of Abu Bakr, may Allah be pleased with him? And how its aspects have been manifested in his succession?

Keywords:

Abu Bakr Siddiq - khilafa - Leadership - Excellence.

* Faculty of Islamic Sciences University of Batna 1.